

الثقافة "في حضرة الغياب"!

يفترض مصطلح "الحياة الثقافية" واقعاً على قدر من الاستقرار والطبيعية، وحياءً في منجاة من العسف الاستعماري الذي جعل القسم الأكبر من أبناء الشعب الفلسطيني في عداد اللاجئين. وبينما الواقع الفلسطيني مقطوع الأوصال، ليس على مستوى الممارسة الاحتلالية فحسب، بل على مستوى البنية الثقافية الفلسطينية نفسها أيضاً، ثمة تخبط بين ثقافة التحرر الوطني – كما يجدر بها أن تكون – ووهم ثقافة "بناء الدولة" (أي ثقافة أو سلو)، في أجواء من اللامبالاة أو المشاحنات الشخصية التي لا تصل إلى مستوى الصراع الجدلي الذي يمكنه أن يصلح وعياً أو يؤشر إلى مخرج من الدائرة المغلقة. ومن يُقدَّر له أن يكون طرفاً في أي جدال ثقافي فلسطيني، ينته الأمر به غالباً إلى أن يبيح صوته، وأن يذوي في المشاحنة بعيداً عن حيوية الجدل الغائبة.

إن الوتيرة البطيئة التي تسير بها "الحياة الثقافية الفلسطينية" تجعل خصائصها وعوارضها هي ذاتها، تقريباً، منذ أعوام. فعلى سبيل المثال، يصعب التمويل الأجنبي جزءاً كبيراً من صورة النشاط الثقافي الفلسطيني منذ عقد ونصف عقد على الأقل، ويتحكم في مزاج هذا النشاط ومحفزاته. كما أن مسألة التطبيع الثقافي التي تطل برأسها ثم تختبئ – بين حادثة وأخرى – تحمل الملامح نفسها منذ أعوام. أمّا على المستوى المؤسسي فالجمود الذي يعادل الوفاة يسيطر على عدد من المؤسسات الفلسطينية كالاتحادات والروابط وما إلى ذلك.

"رابطة" أدباء "حماس" و"اتحاد" كتّاب "فتح"!

شهد شباط/فبراير 2010 حدثين لم يكن لهما أي تأثير في الحياة الثقافية الفلسطينية. الأول "انتخابات" اتحاد الكتاب والأدباء الفلسطينيين (الاتحاد مغلق منذ أعوام ولا أحد يسمع عنه شيئاً)، وفوز أعضاء "الأمانة العامة" بـ "التزكية". والثاني انتخابات نقابة الصحفيين الفلسطينيين (متوقفة أيضاً منذ أعوام، ورئيسها صار مدير تحرير جريدة "الأيام")، والحدثان كانا، على ما يبدو، "استحقاقاً فتحاوباً" ما بعد المؤتمر السادس للحركة، أكثر من كونهما حراكاً ثقافياً أو نقابياً. وقبل أن نتطرق إلى قضية "اتحاد الكتاب والأدباء الفلسطينيين"، لا بد من الإشارة إلى أن حركة "حماس" أطلقت في غزة "رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين" في كانون الثاني/يناير 2010، استعاضت فيها الحركة عن "الكتاب والأدباء الفلسطينيين" بمجموعة من أعضائها ومؤازريها إذ يرئس هذه الرابطة الدكتور عطا الله أبو السبح وزير الثقافة في حكومة "حماس" الأولى. وأهم إصدار للرابطة، حتى الآن، رواية للدكتور محمود الزهار القيادي في "حماس" بعنوان "في أعماق صخرة". كما أنشأت "حماس" مسابقة شعرية باسم "شاعر المقاومة الدكتور عبد الرحمن بارود"، وأقامت "مسابقة أدبية" بعنوان "عائدون منتصرون". وهنا يُستعاض عن الثقافة – وأول خصائصها التعدد والتنوع والاختلاف – بالخطابة والنكوص على الذات. أمّا الأنشطة الأخرى، وعلى قلتها، فيرى باسم النبريص (شاعر ومثقف من غزة) أن معظمها ينطلق من جمعيات التمويل ويصب في أجنداتها.. ولا يوجد غير ذلك أي أحداث ثقافية في غزة.

عودة إلى "اتحاد الكتاب والأدباء" الذي أشرف على تزكية أعضائه اللواء توفيق الطيراوي عضو اللجنة المركزية لحركة "فتح"، و"مفوض المنظمات الشعبية" في الحركة، والمدير السابق لـ "جهاز المخابرات العامة الفلسطينية". وفي هذا السياق أصدر كتّاب فلسطينيون بياناً في آذار/مارس الماضي وقّعه كل من زكريا محمد ويحيى يخلف وغانم زقطان ومريد البرغوثي وسحر خليفة وفيحاء عبد الهادي وفاروق وادي وجميل هلال وليلى الأطرش وزبيد خدّاش وباسم النبريص وسميح فرج ومحمد الأسعد وعائشة عودة وكتّاب هذه السطور، جاء فيه: "نحن الموقعين أدناه [...] راقبنا ما تمخض من نتائج سلبية عن المؤتمر الثاني لاتحاد الكتاب والأدباء الفلسطينيين في البيرة، يوم 20 شباط/فبراير 2010؛ حيث تمّ تعيين أمانة عامة للاتحاد، باتفاق فصائلي (خرجت منه الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين)."

[.....]

"نعلم أن الاتحاد الجديد لا يمثلنا بتاتاً. كما نعتقد أنه قد انتهى، ومن حيث المبدأ، زمن الاتحادات الحصرية للكتّاب ولغيرهم. فقد نشأت مثل هذه الاتحادات الحصرية لأسباب سياسية وطنية، تتمثل بدعم منظمة التحرير التي كانت تكافح من أجل تثبيت نفسها في وجه القوى الخارجية كمثل وحيد للشعب الفلسطيني. أمّا وقد زالت هذه الأسباب، ولم يعد أحد ينازع المنظمة على تمثيل الشعب الفلسطيني، فقد انتهى معها زمن الاتحادات الحصرية،

التي تحولت منذ سنوات إلى أداة كبح ومولدة بيانات لتأييد النهج السائد في المنظمة والسلطة، أو إلى وسيلة للنفوذ والكسب الشخصي." ويختم البيان: "عليه، فنحن لا نوافق مطلقاً على تسمية الاتحاد الذي عقد مؤتمره أخيراً باسم ((اتحاد الكتاب والأدباء الفلسطينيين))، فهو يمثل الكتاب المنضويين تحته فقط، أي أنه لا يمثل الكتاب الفلسطينيين خارجه، والذين يشكلون الكتلة الأكبر من الكتاب الفلسطينيين [...] لن نقبل بعد اليوم أن يقف أحد ما لا يمثلنا لينطق باسمنا، من دون إرادتنا."

احتفالية فلسطين للأدب وجائزة محمود درويش و"ذكراه"

تميزت الدورة الثالثة من "احتفالية فلسطين للأدب" هذا العام (1 - 6 أيار/مايو) - التي أقيمت في القدس المحتلة وعدد من المدن والبلدات الفلسطينية - بانفتاحها بشكل أكبر على الكتاب الفلسطينيين، قياساً بالدورتين السابقتين، كما حققت إقبالاً جيداً من الجمهور الفلسطيني، وشارك فيها كتاب فلسطينيون يكتبون بالعربية، في حين اقتصرت مشاركات الدورات السابقة على كتاب فلسطينيين يكتبون بالإنكليزية. وهذه الاحتفالية التي تشرف عليها الروائية البريطانية - المصرية أهداف سويف كرّمت الشاعر الفلسطيني طه محمد علي (مواليد صفورية 1930)، وشارك فيها كل من: آدم فولدز؛ نانسي كريكوريان؛ فيكتوريا برايتن؛ جيف داير؛ جيمس وود؛ سيلينا هيستجر؛ نتالي حنظل؛ سهير حماد؛ محمود شقير؛ ليام ساتكليف؛ آخرين.

وقد تسلمت أهداف سويف من جامعة بير زيت - في أثناء "احتفالية فلسطين للأدب" - جائزة محمود درويش التي أعلن فوزها بها في وقت سابق إلى جانب الشاعر الجنوب إفريقي برايتن برايتناخ. وعلى الرغم من جدارة سويف وبرائيتناخ بنيل الجائزة، إلا إن الجائزة تعرضت لانتقادات، لعلها في الأساس - علاوة على عدم وضوح آليات منحها وتشكيلة اللجنة - منصبة على عمل "مؤسسة محمود درويش"، وهي الجهة المانحة للجائزة. وفي سياق ذكرى محمود درويش افتتحت في حزيران/يونيو 2010 في كفر ياسيف "مؤسسة محمود درويش للإبداع" (وهي غير المؤسسة الأولى التي تتخذ من رام الله مقراً لها) برعاية "رئيس الحكومة الفلسطينية" سلام فياض وحضور "فاعليات جماهيرية" و"أعضاء كنيست". وبدا الأمر أشبه بكرنفال سياسي وصلحة عشائرية أكثر منه مناسبة ثقافية وطنية. وكان من المقلق دعوة شخصيات إسرائيلية إلى إلقاء كلمات في حفل الافتتاح (منهم يوسي سريد، والكاتب عاموس عوز)، إلى جانب كلمتين للروائي الياس خوري والموسيقي مارسيل خليفة، اللتين أرسلنا من لبنان. هل إن "مؤسسة محمود درويش للإبداع" لا تستقيم إلا بحضور سريد، وبكلمة عوز، وبتشنييف أذانتا بالخطاب الصهيوني؟! (فضلاً عما تقوله سريد ونسبه إلى درويش كزعمه أنه أخبره بندمه على كتابة قصيدة "عابرون في كلام عابر") وفي حين أن أكثر ما نحتاج إليه اليوم هو إبعاد الثقافة الفلسطينية في فلسطين المحتلة منذ سنة 1948، عن المؤسسة الإسرائيلية وعن ثقافة "التعايش والسلام" الكاذبة، فإنه يحق لنا أن نستغرب دعوة سريد وعوز إلى إحياء ذكرى محمود درويش، شاعر الحلم الفلسطيني!

ورشات الكتابة و"لوز أخضر"

ظهرت في هذه السنة مبادرات جديدة للشبان وهموم الكتابة، ف "ورشة فلسطين للكتابة" نظمت حتى الآن عدة ورشات للكتابة الإبداعية، بالتعاون مع كتاب أمثال رينثل هولمز وجيريمي هاردينغ، كما شاركت في ورشات كتابة خارج فلسطين. علاوة على ذلك، فإن "ورشة فلسطين للكتابة" تقيم أمسية شعرية كل شهر في مقهى La Vie برام الله، يجتمع فيها أسماء معروفة مع أسماء تقرأ لأول مرة باللغتين العربية والإنكليزية، وبمشاركة موسيقية وفنية مثل عرض فرقة "تشويش" السمعي البصري. وفي مبادرة أخرى، نظم طلاب "ورشة القدس للكتابة" ورشة للكتاب الشبان الذين التقوا الجمهور في القدس أول مرة، وشارك في اللقاء موسى أزحيمان ومي الكالوتي وحسام الدين غوشة بنصوص مما كتبوا في الورشة. كما سجلت الأشهر الأخيرة عدة مبادرات أدبية شبابية مثل "ملتقى لوز أخضر" الذي تقيمه مجلة "فلسطين الشباب" (يحررها طارق حمدان)، ومركز "خليل السكاكيني" في رام الله، ويتضمن لقاء شهرياً يجمع ثلاثة من كتاب المجلة الشبان مع كاتب في منتصف طريقه الأدبي، ويقرأ الشبان نصوصهم ثم يعلق عليها الكاتب الضيف. وفي فكرة مشابهة تدعو مجموعة "نوافذ" كاتباً إلى لقاء مجموعة من الشبان المهتمين بالكتابة في نشاط تسميه "فجان قهوة"، دعت فيه حتى الآن كلاً من محمود شقير وزكريا محمد وصبحي شحروري، في حين دعا "لوز أخضر" أكرم مسلم وعلاء حلحيل ومحمود أبو هشيش وكاتب هذه السطور. وهناك أيضاً "بسطة كتابة" التي تسلط الضوء على كتابات الشبان. كما تم إعلان "البيت الدانمركي في فلسطين" الذي سيُفتتح رسمياً في رام الله في أيلول/سبتمبر المقبل. وفي عكا المحتلة أعلن موقع قديتا www.qadita.net الثقافي، الذي يبدو محاولة للخروج على سيطرة المواقع الإلكترونية الموجودة في فلسطين المحتلة منذ سنة 1948. من جهة أخرى، تستمر "ندوة اليوم السابع" الأسبوعية في القدس، والتي تنتشط منذ أكثر من عقد ونصف عقد، وقد ناقشت الندوة الأدبية التي يديرها الكاتب جميل السلحوت، والتي تُعقد في "المسرح الوطني الفلسطيني"، عدداً من الكتب الجديدة في الأشهر المنصرمة، بينها رواية إبراهيم نصر الله، وأخرى لأحمد رفيق عوض.

إصدارات، معارض، مهرجانات

حركة الإصدارات في فلسطين ضعيفة وتراوح في مكانها، وما هو حيوي ومهم نادر فعلاً. أمّا القسم الأكبر من المنشورات فيصدر عن مؤسسات أكثر مما يصدر عن دور نشر. فلسطين المحتلة تكاد تكون بلا ناشرين، وأكثر الإنتاج الفلسطيني يصدر في البلاد العربية. وبصودور الجزء الثامن من "يوميات خليل السكاكيني" بعنوان: "خليل السكاكيني: الخروج من القطمون"، تحرير وتقديم أكرم مسلم، عن مركز خليل السكاكيني الثقافي ومؤسسة الدراسات المقدسية في رام الله، تكون يوميات السكاكيني قد اكتملت.

وكانت قناة "الجزيرة" الوثائقية عرضت في 28 تموز/يوليو الماضي شريطاً وثائقياً بعنوان "بصمات" عن حياة خليل السكاكيني من إنتاج [شركة] "الأرز" في الناصرة. والفيلم يعتمد على عرض عدد كبير من المقابلات، إذ نشاهد في الشريط مجموعة من الكتاب الفلسطينيين يتحدثون عن خليل السكاكيني كتونيري، وصاحب نظرية في التربية والتعليم، ومثقف أثر في حياة القدس الثقافية، علاوة على مقاطع من مقابلات مع محمود شقير ومدير فاشه وأكرم مسلم ووسيم الكردي وآخرين وبعض طلاب السكاكيني. وتبدو كثافة حضور المعلقين كأنما جاءت تعويضاً عن عدم النقاط الشريط تجربة خليل السكاكيني، فمن الواضح أن الفيلم مشغول على عجل، وأن مخرجه لم يهضم تجربة السكاكيني. وهو نقد يمكن أن يوجه إلى كثير من الأفلام الوثائقية التي تبثها الفضائيات العربية عن فلسطين، إذ يطغى الجانب التجاري في هذه الأفلام على الجانب المهني والفني. فالإنتاج في معظمه يصدر لتغطية طلب سوق الفضائيات، وليس عن فن أو شغف.

أمّا "بيت الشعر" في رام الله، فقد أصدر أعمال الشاعر محمد حسيب القاضي بعد رحيله في أيار/مايو الماضي في القاهرة عن 64 عاماً، وكان أصدر قبل عامين أعمال الشاعر خالد أبو خالد المقيم في دمشق. كما صدر للفصاح محمود شقير كتاب بعنوان "قالت لنا القدس" عن "وزارة الثقافة الفلسطينية"، ويتضمن مقالات وشهادات ويوميات عن القدس. وكانت صدرت عن منشورات "البيت" في الجزائر، الأعمال الروائية لمحمد الأسعد (صاحب أطفال الندى)، المقيم في الكويت. وكذلك أصدر "البيت" مختارات شعرية ودراسات في ثلاثة مجلدات للشاعر والباحث زكريا محمد الذي قدم دراسات لافتة في أديان العرب قبل الإسلام، وهو بعد كتابه: "عبادة إيزيس وأوزيريس في مكة الجاهلية" الصادر منذ عامين، يواصل بحثه في أديان العرب قبل الإسلام من خلال الأمثال هذه المرة، وقد أصدر في هذا المجال كتاباً جديداً: "ذات النحيين: الأمثال الجاهلية بين الطقس والأسطورة (الدار الأهلية - عمان)". وأصدر طارق حمدان مجموعته الشعرية الأولى: "حين كنت حيواناً منوياً" (دار أزمنة - عمان).

وبين آخر الإصدارات المتعلقة بمحمود درويش، صدرت ترجمة له بعنوان "لو كنت غيري" عن منشورات FSG في أميركا، بتوقيع فادي جودة الشاعر والمترجم الفلسطيني - الأميركي، وهي تتضمن مختارات من القصائد الغنائية الطويلة كـ "أحد عشر كوكباً" و"جدارية" و"أرى ما أريد". وقد أصدرت مجلة غاليري الهندية الفنية (تصدر بالإنكليزية من مومباي) عدداً خاصاً عن فلسطين، بتركيز خاص على فنونها المعاصرة. وصدر هذا العدد عقب زيارة محررة المجلة "بيننا ساركار إلياس" لفلسطين. وكذلك خصص العدد الأخير من مجلة آسيا الكورية الجنوبية (مزوجة اللغة، كورية وإنكليزية) ملفاً عن الأدب الفلسطيني، وهو من إعداد الروائية الكورية أو سو يون. وقد سبق أن نشرت الكاتبة كاتيين بالكورية عن فلسطين، أحدهما شهادات بالاشتراك مع الشاعر زكريا محمد. وكرس العدد الأخير من مجال "اللسان" الألمانية جزءه الأكبر للأدب الفلسطيني وعلاقته بالحياة اليومية. وفي "مركز إبداع" في مخيم الدهيشة، قدمت الباحثة والناشطة ضد الصهيونية رحيلا مزراحي في تموز/يوليو الماضي، محاضرة عن سرقة الفن والتراث الفلسطيني. ومن القضايا التي عرضت لها مزراحي، سرقة رئيسة قسم تاريخ الفن في الجامعة العبرية غانيت أنكوري أطروحة الباحث والفنان الفلسطيني كمال بلطاه في تاريخ الفن الفلسطيني، قبل عدة أعوام.

أمّا في **الموسيقى**، فقد أصدر شادي زقطان أسطوانته الأولى "عن بلد" التي يبدو أنها تلاقي قدراً من النجاح، وهي تعرف من مفردات الحياة اليومية للناس، بينما الأداء متمكن وخالٍ من المبالغة مع عزف على الغيتار بمشاركة عماد الصيرفي، كما أنها تبشر بأغنية جديدة تختلف عن التجارب الموجودة في الساحة الفلسطينية. و"في بيت بلد للإيجار.. في بيت فرشو من خراب بيوتنا"، صوت جانبي يصدر عن هامش تُستحضر فيه القضايا بواسطة مفردات وتفصيلات الواقع، وذاتية الفنان.

وكما دعمت مؤسسة عبد المحسن القطان في رام الله أسطوانة "عن بلد"، دعمت أيضاً إصدار الأسطوانة الأولى للمغنية سناء موسى التي تبدو من أكثر الأصوات الفلسطينية الشابة تمكناً، إذ تقدم في باكورتها توزيعاً جديداً لأغاني تراثية فلسطينية. والأسطوانة التي انتهت موسى من تسجيلها ستطلقها في حفل بـ "قصر رام الله الثقافي" مساء 28 من تشرين الأول/أكتوبر المقبل.

وتبدو ساحة **الفن التشكيلي**، الأكثر حراكاً، ربما لكون الفنون البصرية مرتبطة بمؤسسات وسوق عبر العالم، وليست رهينة حراك محلي، إذ يمكن رصد عشرات الأحداث في الفصلين الأخيرين (الربيع والصيف)، والقسم الأكبر منها مشاركات فلسطينية في أحداث خارج فلسطين. ففي "مهرجان أدنبرة الفني" قدم كل من جواد المالحى وتيسير البطنجي أعمالاً ضمن معرض "صانعو الفضاء" (The Spacemakers) الذي قدمته "مؤسسة دلفينا"،

كما قدمت مجموعة "تشويش" (روان أبو رحمة وباسل عباس و"مقاطعة") عرضاً بصرياً صوتياً. وقد قدم ستيف سايبلا مؤخراً عملاً جديداً بعنوان Euphoria، كأنما يواصل فيه عمله السابق "في المنفى"، والذي يبحث فيه عن "أشكال بصرية لحالة النفي". وشارك هاني زعرب في بينالي دكاك في السنيغال بعرض الجزء الأول من مشروعه "ستاندباي"، وفي هذا البينالي المخصص للفنانين الأفارقة، دعا زعرب في إطار دعوته بعض الفنانين من خارج إفريقيا، إلى تقديم عمل في هامش خاص يسمى Exhibition Off. ولعل من أبرز معارض العام الفردية "تحية إلى الحسن بن الهيثم" الذي قدمه الفنان المقدسي المقيم في فرنسا كمال بلاطه في "غاليري آرت سبايس" بدبي. وفي متحف المقتنيات التراثية بجامعة بير زيت قدمت فيرا تماري معرضاً بعنوان "رام الله الأكثر فتنة" تسائل فيه رام الله بين تاريخها وتحولاتها وصورها. وقد رافق المعرض ندوة شارك فيها كل من: عصام نصار؛ رجا شحادة؛ سميح حمودة؛ خلدون بشارة؛ يزيد عناني؛ ليزا تراكي. وفي "جامعة القدس" قدمت رئيسة قسم الفنون الفنانة رنا بشارة معرضاً لافتاً لأعمال التخرج الخاصة بطلاب قسم الفنون الذي تسلمت إدارته مؤخراً. ويمكن ملاحظة أثر الفنانة في التطور النوعي لمستوى أعمال الطلاب، إذ تتجلى قوة الخطاب السياسي في بعض أعمال الطلاب مع فهم معقول للفن المفهومي الذي تقع أبرز الأعمال في إطاره. ومن غزوة، فإن أخبار المعارض التشكيلية هي أكثر ما يصلنا من هناك، وقسم كبير منها لفنانين وفوتوغرافيين شبان يعرضون في بعض المساحات المتوفرة، وخصوصاً "المركز الثقافي الفرنسي". أما معرض "فلسطين في عيون الفنانين الشباب"، الذي نظّمته مجلة "فلسطين الشباب"، وتناول في عدة مناطق في فلسطين، وسيصل إلى حيفا في كانون الأول/ديسمبر المقبل، فجمع 27 فناناً شاباً (تفاوتت مستوياتهم الفنية) من جميع أجزاء فلسطين المحتلة، ومن الشتات أيضاً.

وفي تموز/يوليو شهدت فلسطين بعض المهرجانات الموسيقية، بينها "مهرجان القدس للموسيقى" و"مهرجان فلسطين الدولي"، وقد تعرضا لنقد من جهة النخبوية المسيطرة على عروض "مهرجان القدس" ("مهرجان الأجناب" بتعبير بعضهم)، وبسبب إشكالية دعوة فنانين عرب إلى فلسطين، وهذه القضية تبرز كل عام على السطح. ففي حين يتمترس بعضهم وراء مقولة منسوبة إلى فيصل الحسيني (زيارة السجين ليست تطبيعاً مع السجان)، فإن آراء أخرى ترى فيها مقولة لا يمكنها اختزال مسألة المقاطعة العربية لـ "إسرائيل" وتعقيدها، ولا سيما في جانبها الثقافي.

وفي المسرح، قدم المخرج اللبناني - الفرنسي نبيل الأظن، في القدس ورام الله عملاً جديداً يستوحى "الأجواء الشرقية" بعنوان "ليل الليالي"، بعد أن قدم منذ ثلاثة أعوام مسرحية "عقد هيلين" بـ "شراكة" مع المسرح الوطني الفلسطيني. وفي "ليل الليالي" يعود الأظن بالرؤيا الاستشرافية نفسها، ذات العلاقة الاستتباعية مع "الشريك المحلي"، ويجيء بعمل جاهز ترعاه القنصلية الفرنسية، ويبحث له عن جهة فلسطينية "شريكة" ("المسرح الوطني الفلسطيني" في القدس) تمده بـ "ممثلين محليين" كي يشاركوا في العمل الذي يقدم على الخشبة خلال أقل من شهر. وفي حين استمرت أزمة "المسرح الوطني الفلسطيني" في القدس، إذ وقعت مجموعة من الفنانين والناشطين عريضة في العام الماضي تطالب بتغيير إدارته، فإن المركز الثقافي الفرنسي ربما هو الأكثر حسداً للتذمر بين المراكز الثقافية الأجنبية العاملة في فلسطين المحتلة، من جهة محاولته بين الحين والآخر فرض أو تسريب مشاركات إسرائيلية في مجتمع وثقافة يتبنيان نهج المقاطعة.

معايير المقاطعة وزيارة الأكاديميين والفنانين العرب لفلسطين المحتلة

لعل حركة المقاطعة الثقافية والأكاديمية لـ "إسرائيل" في العالم، وفي فلسطين والمنطقة العربية، هي الأكثر تصاعداً، إذ عاد موضوع هذه المقاطعة يُطرح بقوة مع هبوب رياح التطبيع مجدداً في الأعوام الأخيرة، وإن كان طرحها هو الآخر لا يفضي إلى الجدل الفعال المرجو، وبقي في إطار نخبوي لم ينتشر جماهيرياً. فكل صيف تقريباً، تثار الزوابع نفسها لتنتهي في الفئان نفسه، وقد أثرت هذا العام، مع "مهرجانات الصيف"، قضية زيارة الفنانين العرب لفلسطين المحتلة، إذ أصدرت "الحملة الفلسطينية للمقاطعة الأكاديمية والثقافية لإسرائيل" وثيقة تبدو رداً على مؤسسات وجهات فلسطينية - غالباً ما تكون مقربة من السلطة - تستهل وصف زيارة أي عربي لفلسطين بأنها كسر للحصار. وقد جاء في الوثيقة التي صدرت في 2010/7/15: "في ظل الاضطهاد الإسرائيلي المركب، المتمثل في الاحتلال والأبارتهاد وحرمان اللاجئين من حقهم في العودة إلى الديار، وفي الوقت الذي يتعرض فيه شعبنا للتفتت والتطهير العرقي التدريجي (في القدس والنقب وغيرهما) وفي الوقت الذي يعاني فيه شعبنا في قطاع غزة المحتل، بالذات، من حصار إجرامي ولا أخلاقي، وُصف من قبل حقوقيين مرموقين بمثابة "إبادة جماعية" بطيئة، فإن الأولوية القصوى لأي أكاديمي/فنان/مثقف عربي يرغب في فك الحصار عن الشعب الفلسطيني هي دعم حملة المقاطعة العالمية لإسرائيل وزيارة غزة عبر معبر ((رفح)) الحدودي مع الشقيقة مصر."

وتتابع الوثيقة التي صدرت في 15 - 7 - 2010: "إننا نحترم ونقدر بعمق المواقف والمبادئ المناهضة للتطبيع التي تتبناها الاتحادات والنقابات والمؤسسات الأكاديمية والثقافية والمهنية والفنية في الوطن العربي،

والتي ترفض بشكل مبدئي أن يزور الإخوة والأخوات العرب الأرض الفلسطينية المحتلة بإذن من المحتل، بغض النظر عن أي اختلافات بين معايير المقاطعة لديها والمعايير التي يتبناها، مضطراً، المجتمع الفلسطيني الراح تحت الاحتلال. كما نرى ضرورة التواصل بين حملة المقاطعة الفلسطينية وهذه الاتحادات والنقابات لتنسيق المواقف تجاه مقاطعة إسرائيل ومعايير تطبيقها. " وتضع الوثيقة تحديدات تبدو وسطية ومعتدلة – إذا ما تذكرنا وجهات نظر تبدو أكثر تشدداً في هذا الشأن: " عند توجيه دعوة لأي أكاديمي/ة أو فنان/ة أو مثقف/ة عربي/ة، تلتزم المؤسسات الفلسطينية بمبادئ ومعايير المقاطعة الأكاديمية والثقافية المقررة فلسطينياً في تنظيم الزيارة بحيث: أ – تُصرَّ على أن يكون دخول أي حامل جواز سفر عربي إلى فلسطين المحتلة فقط عن طريق تصريح من سلطات الاحتلال (أي دون أن يُختم جواز السفر)، وليس بتأشيرة دخول (فيزا)، وذلك تأكيداً على رفض التعامل مع دولة الاحتلال كدولة طبيعية. كما تصر على عدم إعطاء سلطات الاحتلال أرقام هواتف الفنانين المدعويين أو أي وسائل اتصال أخرى بهم؛ ب – تُطبَّقُ معايير المقاطعة برفض تنظيم أية أنشطة مشتركة، مباشرة أو غير مباشرة، مع أي طرف إسرائيلي تحت أي ذريعة، وبغض النظر عن الطرف المنظم لهذه الأنشطة؛ ج – ترفض التعاون بأي شكل مع محاولات بعض المؤسسات الأجنبية خرق المقاطعة عبر تنظيم أنشطة لأكاديميين أو فنانين أو فرق فنية من الخارج مع مؤسسات إسرائيلية ثم (تبييض) هذا التواطؤ بتنظيم أنشطة موازية لهم مع مؤسسات أو جهات ثقافية أو أكاديمية فلسطينية (دون علاقة مباشرة بين الطرفين)؛ د – ترفض استقبال أي أكاديمي/ة أو فنان/ة أو مثقف/ة عربي/ة في المؤسسات الأكاديمية والثقافية الفلسطينية بعد زيارة أو إقامة علاقات مع أطراف إسرائيلية؛ هـ - اهتداءً بتجربة المقاطعة في جنوب إفريقيا، تطلب من الفنانين/ات العرب الزائرين/ات تبني مبادئ نداء المقاطعة ورفض التطبيع، تقادياً لإعطاء أي انطباع زائف بأن زيارتهم/ن تندرج تحت برامج التطبيع، مما قد تستغله إسرائيل في محاولة إضعاف المقاطعة العالمية الأخذة في التنامي ضدها. " وتستطرد الوثيقة: "نناشد الفنانين/ات والمثقفين/ات والأكاديميين/ات العرب العمل على إزالة المعوقات التعسفية والمذلة التي تمنع أو تعوق دخول الفلسطينيين، بمن فيهم الفنانين/ات والمثقفين/ات والأكاديميين/ات، إلى جميع البلاد العربية الشقيقة"، ثم تختتم بـ: "تخضع هذه الوثيقة، كغيرها من معايير المقاطعة في شتى المجالات، للمراجعة خلال عملية حوار مجتمعي واسع كلما اقتضت الظروف والتطورات ذات الصلة." ■

(* شاعر فلسطيني.